

التجربة الشبابية في فلسطين

سامر أبو رحمة*

الحراك الشبابي في قطاع غزة.. إلى أين؟

أخرى. وفي كانون الثاني / يناير ٢٠١١ ظهرت عشرات المجموعات الشبابية والصفحات على شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك)، التي تعكس اهتماماً بجوانب القضية الوطنية، كالتمثيل الوطني، وإنهاء الانقسام، ومحاربة الفساد، وحق العودة، والأسرى، واستجدّ إقبال شبابي ملحوظ عليها.

انطلاق التحركات الشبابية

سرعان ما انتقل هذا التفاعل في العالم الافتراضي إلى أرض الواقع، وبدأ التحرك الشبابي في نهاية كانون الثاني / يناير متأثراً بالمشاركة الشبابية والشعبية العارمة في الثورتين التونسية والمصرية، وبالتضحيات التي يقدمها الشباب من أجل الانعتاق من الظلم والاستبداد، والقوة الهائلة التي تملكها الإرادة الشعبية لإحداث التغيير، وتوظيف ذلك كله فلسطينياً في سبيل

الثورتان التونسية

انعكست

والمصرية على

الشباب الفلسطيني بشكل كبير، فكان التفاعل معهما ضمن الواقع الافتراضي والفعلي، عظيم الأثر في تجديد الأمل لدى الشباب الفلسطيني، للنضال من أجل إحداث تغيير يعيد الاعتبار إلى الأولويات، ويشق مساراً جديداً في اتجاه تحقيق المشروع الوطني، وإعادة توجيه البوصلة نحو الاحتلال، وكذلك إعادة الاعتبار إلى الجماهير التي تعاني جزاء الاحتلال والحصار والانقسام الداخلي، وإلى دور الشباب الذين جرى تهميشهم أعواماً طويلة، واستبعادهم من مواقع صنع القرار.

فعلى صعيد الواقع الافتراضي،

انخرط الشباب الفلسطيني في نقاشات جادة ومسؤولة تسعى لإيجاد حلول للمسألة الداخلية، بعد عزوف ملحوظ ومستهجن عن التفاعل مع القضايا الوطنية، والنزوع إلى الذاتي وإلى قضايا

* ناشط سياسي شبابي، غزة.

أولويتها كمهمة مباشرة لإنهاء الاحتلال وترتيب الوضع الداخلي، شكّل بداية لتكوين مجموعات متعددة اتفق بعضها على أن تكون مفتوحة كي تضم مختلف مكونات الشعب الفلسطيني وألوانه السياسية، مادامت تتفق على ضرورة الضغط لإنهاء الانقسام واستعادة الوحدة الوطنية.

التشكيل الأولي

كان التشكيل الأولي للمجموعات الشبابية في قطاع غزة سريعاً، ولا يخلو من الحماسة والارتجال، لكنه عبّر عن رغبة قوية في النزول السريع إلى الشارع. وقد اتسمت هذه المرحلة بانطلاق عدة مجموعات بشكل متواز في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة، من دون تنسيق في البداية، وإنما على قاعدة تجاوز الهوية الحزبية إلى الفضاء الوطني العام، وتأكيد تجاوز الفئوية وصدق الأهداف والنيات، وضرورة ضم جميع ألوان الطيف السياسي إلى هذه المجموعات، ولا سيما في قطاع غزة. ولهذه الغاية، عُقدت اجتماعات موسعة مع فئات من الشباب والجماهير في مناطق قطاع غزة كلها، ركزت على التحذير من مخاطر استمرار الانقسام على القضية الفلسطينية والمشروع الوطني، والتشديد على وجوب توجيه البوصلة نحو الاحتلال، والدعوة إلى التحرك في الشارع لإنهاء الانقسام كمهمة مباشرة على طريق إنهاء الاحتلال، إلى جانب التعريف بالمجموعات وبآليات التواصل معها.

واشتقت أسماء معظم المجموعات من تواريخ لمناسبات مهمة لإحياء الفاعليات، أو من أحداث كبرى في تاريخ الشعب الفلسطيني، مثل "شباب خمسة حزيران" و"شباب آذار"، وجرى التركيز على التنسيق الكامل بين المجموعات الفاعلة في الضفة

التخلص من اليأس والاستسلام للانقسام وتقدم مشاريع الاحتلال على الأرض، الأمر الذي عكس صحوة لدى الشباب الفلسطيني، وثقة بالقدرة على التغيير، على الرغم من الواقع المأساوي.

وكان من أبرز تجليات انتقال الحراك إلى أرض الواقع في قطاع غزة، كما هو الحال في الضفة الغربية، انطلاق نوعين من المجموعات الشبابية دوافعها مختلفة: الأول، مجموعات فنوية موجهة ضد أحد طرفي الانقسام، وهذه فشلت في تحريك الشارع؛ الثاني، مجموعات الحراك الشعبي التي أطلقت فاعليتها في ظل جدل عميق في إطار الواقع الافتراضي، وعلى الأرض في آن واحد، بشأن الأولويات في المرحلة الراهنة، الأمر الذي عكس تبايناً في الرؤية والشعارات المتعلقة بأولوية القضايا المطالبة بالفقر والبطالة وسوء الأوضاع الاقتصادية، أو القضايا السياسية المتمثلة في إنهاء الانقسام، أو قضية التحرر من الاحتلال. وظهر هذا الاختلاف استناداً إلى خصوصية الشباب الفلسطيني والوضع التاريخي، وانطلاقاً من كون كثير من الشباب مؤدجاً ينتمي إلى قوى وبرامج سياسية متنوعة، لكن من دون إغفال أن الشعب الفلسطيني يعيش تحت الاحتلال، وأن الأولوية تبقى لمناهضة الاحتلال، وأن أي تحرك يجب أن يضع في اعتباره التناقض الرئيسي. لكن ذلك لا يبدو متاحاً مادام الشعب الفلسطيني منقسماً أفقياً وعمودياً، الأمر الذي يتطلب التركيز على إنهاء الانقسام وإجراء مراجعة لأسباب تراجع المشروع الوطني والتوافق على الخيارات الأكثر فاعلية لتحقيق الأهداف الوطنية.

ولم تلق الدعوة إلى إعطاء الأولوية لمطلب إنهاء الانقسام استجابة واسعة من الناس في بداية التحرك، غير أن إصرار الشباب على

والقطاع، إذ استبقت مجموعات الضفة التحرك عبر فاعليات نُظمت في رام الله وبيت لحم. أمّا البدايات في القطاع، فكانت في الأطراف، لا في المركز بمدينة غزة، وجرى التفاعل مع عدة مجموعات، ثم ضُمَّت إلى التحرك، بينما قطعت مجموعات أخرى شوطاً في التواصل مع العديد من الشخصيات والمؤسسات والقوى، كما قطع غيرها شوطاً في التواصل خارج الوطن عبر صفحات باللغة الإنجليزية، وبذلك برز أول التحديات بشأن توحيد الجهود وفق رؤية واضحة إلى تحقيق الهدف، واختصار الوقت والجهد.

وفي هذا السياق، تشكلت مجموعة شباب "خمسة حزيران" التي اهتمت بالعمل الميداني على الأرض وبالحشد في جميع المناطق، وشكلت حالة شبابية منظمة، ومجموعة شباب "الخامس عشر من آذار" التي اهتمت بالعمل مع القوى والمؤسسات والشخصيات الوطنية، ومجموعة شباب "غزة نحو التغيير" التي اهتمت بالعمل على المستوى الدولي عبر صفحات "الفابيس بوك".

وفي أواسط شباط / فبراير ٢٠١١، عُقد لقاء بين مجموعات من الشباب وعدد من المثقفين لبحث توسيع التحرك، تلاه اجتماع في رفح لمناقشة توحيد الجهود، وجرى الاتفاق على ضرورة توحيد العمل والجهود من أجل إنجاح الهيئة الشعبية في آذار / مارس، ووضع رؤية واضحة إلى تحرك المجموعات من أجل تأكيد عدم احتوائها أو توجيهها إلى مصلحة طرف ضد آخر، وللتشديد على خلق الثوب الحزبي والفئوي، والعمل في الإطار الوطني، وعلى الهوية والرموز الوطنية لتجاوز الفئوية، والبناء على ما أنجزته كل مجموعة، لتحقيق التكامل وسرعة التواصل مع الجماهير وإنجاز الهيئة الجماهيرية، والتواصل مع جميع المجموعات

الشبابية الموجودة على الساحة من أجل توحيد الجهود لإنهاء الانقسام. وفي المقابل، برزت نقاط خلاف بشأن توقيت الهيئة (١٥ أم ٣٠ آذار / مارس)، وبشأن التخطيط للهيئة وتنظيمها، إذ رأى شباب "خمسة حزيران" ضرورة وضع رؤية محددة، والاتفاق على أهداف الهيئة، وتنظيمها وفق برنامج محدد يحقق النتائج المرجوة، والتشديد على عدم استخدامها من أي طرف ضد آخر، وتأكيد خصوصيتها وهويتها، بينما رفض آخرون ذلك كي لا يتحول التحرك إلى "حزب سياسي". كما برز خلاف بشأن تسمية التحرك ما بين "هيئة"، أو "حملة"، أو "حراك"، واتُفق على التحرك تحت عنوان "الحراك الشعبي لإنهاء الانقسام".

أمّا بالنسبة إلى طبيعة الفاعليات، فقد رأت مجموعات اقتصر الأمر على الاعتصام، بينما رأت مجموعات أخرى ضرورة المراكمة حتى تحقيق الهدف. وجرى الاتفاق على تشكيل لجان مشتركة للإعلام والعلاقات العامة والتنسيق، والمالية، والأنشطة، فضلاً عن الهيئة الأولى، لوضع محددات للعمل وتوحيد الهياكل والمجموعات من أجل التواصل مع باقي المجموعات وتوحيد الجهود الشبابية.

لكن المرحلة التالية لهذه الخطوات التوحيدية اتسمت بمظاهر سلبية، منها غلبة التحدث باسم المجموعات لا التحالف، على الرغم من الاتفاق على شعارات وحدوية، وبرنامج الفاعلية، وسيناريوهات استمرارها أو توقفها، والبيانات الصحافية، والتواصل مع المجموعات في الضفة الغربية، وتوفير المتطلبات اللوجستية والإمكانات لإسناد الاعتصام. كما تم التواصل مع جميع قوى المجتمع المدني ومؤسساته، وعُقدت اجتماعات مع شخصيات وطنية، وأعضاء في المجلس التشريعي، وفي الحكومة،

والقطاع، إذ استبقت مجموعات الضفة التحرك عبر فاعليات نُظمت في رام الله وبيت لحم. أمّا البدايات في القطاع، فكانت في الأطراف، لا في المركز بمدينة غزة، وجرى التفاعل مع عدة مجموعات، ثم ضُمَّت إلى التحرك، بينما قطعت مجموعات أخرى شوطاً في التواصل مع العديد من الشخصيات والمؤسسات والقوى، كما قطع غيرها شوطاً في التواصل خارج الوطن عبر صفحات باللغة الإنجليزية، وبذلك برز أول التحديات بشأن توحيد الجهود وفق رؤية واضحة إلى تحقيق الهدف، واختصار الوقت والجهد.

وفي هذا السياق، تشكلت مجموعة شباب "خمسة حزيران" التي اهتمت بالعمل الميداني على الأرض وبالحشد في جميع المناطق، وشكلت حالة شبابية منظمة، ومجموعة شباب "الخامس عشر من آذار" التي اهتمت بالعمل مع القوى والمؤسسات والشخصيات الوطنية، ومجموعة شباب "غزة نحو التغيير" التي اهتمت بالعمل على المستوى الدولي عبر صفحات "الفابيس بوك".

وفي أواسط شباط / فبراير ٢٠١١، عُقد لقاء بين مجموعات من الشباب وعدد من المثقفين لبحث توسيع التحرك، تلاه اجتماع في رفح لمناقشة توحيد الجهود، وجرى الاتفاق على ضرورة توحيد العمل والجهود من أجل إنجاح الهيئة الشعبية في آذار / مارس، ووضع رؤية واضحة إلى تحرك المجموعات من أجل تأكيد عدم احتوائها أو توجيهها إلى مصلحة طرف ضد آخر، وللتشديد على خلق الثوب الحزبي والفئوي، والعمل في الإطار الوطني، وعلى الهوية والرموز الوطنية لتجاوز الفئوية، والبناء على ما أنجزته كل مجموعة، لتحقيق التكامل وسرعة التواصل مع الجماهير وإنجاز الهيئة الجماهيرية، والتواصل مع جميع المجموعات

بالتعاون وبإقبال المجموعات الشبابية كلها من دون استثناء، والالتزام بما تم الاتفاق عليه، وتعزيز التواصل مع القوى والمؤسسات والشخصيات. غير أن المسيرة التي انطلقت من جامعة الأزهر تعرضت للقمع، وجرى اعتقال عدد من المشاركين فيها، والاعتداء على الصحافيين بعد أقل من خمس عشرة دقيقة على انطلاقها. وعلى الرغم من التحضير الجيد هذه المرة، فإن التحرك اتسم بضعف المشاركة الجماهيرية، في ظل المخاوف من القمع والاعتقال، وغياب منسقي أغلب المجموعات الشبابية والناشطين، وضعف التغطية الإعلامية للمسيرة، وعدم صمود الحشد المشارك أمام القمع، والانقضاض السريع من أفراد الأجهزة الأمنية على المشاركين وتفريقهم.

الهدف المركزي.. ورياح

المستجدات

بعد اغتيال المتضامن الدولي فيتوريو أريغوني في غزة، ركزت المجموعات الشبابية جهودها على التظاهر والاحتجاج ضد هذه الجريمة، الأمر الذي شتت التركيز على الهدف الأساسي المتعلق بإنهاء الانقسام. كما برزت مظاهر أساءت إلى التحركات الشبابية كالأستعراض والالتفات إلى النجومية الإعلامية والمظاهر الاحتفالية وبروز بعض مصادر التمويل لبعض المجموعات بهدف تغطية الفاعليات الاحتجاجية ضد جريمة اغتيال أريغوني.

وبتوقيع اتفاق المصالحة، والاحتفاء بإعلانه في القاهرة في ٤ أيار / مايو ٢٠١١، طغت المظاهر الاحتفالية في مناطق قطاع غزة كلها، ونظم الحراك

والعشائر، لشرح وجهة نظر الشباب بشأن إنهاء الانقسام، وإقناع الجميع باستقلالية التحرك، والوقوف على مسافة واحدة من الأطراف كافة.

وجرى تنظيم فاعليات تحضيرية بهدف تعريف الجمهور والإعلام بأهداف التحرك الشبابي، وشملت اعتصامات ومسيرات شبه يومية في مختلف المدن حتى تاريخ ١٤ آذار / مارس، وأضفت طابعا جديا يدل على صدقية التحركات وفعاليتها على الأرض، الأمر الذي دفع الحكومة المقالة إلى إعلان دعم التحركات الشبابية في ١٥ آذار / مارس، والتي حظيت بتأييد جميع قطاعات الشعب الفلسطيني وشخصياته الوطنية و مثقفيه وفنانيه، فشكّل ذلك اليوم أكبر حملة وطنية منذ أربعة أعوام للمطالبة بإنهاء الانقسام.

وشهدت المجموعات الشبابية مزيداً من الاتساع خلال تلك الفترة، إذ كان هناك مجموعات الحراك الشعبي التي تضم شباب خمسة حيزران، وشباب آذار، وشباب غزة نحو التغيير، وبرزت "حملة نداء الوطن" التي نظمت فاعلية للمطالبة بإنهاء الانقسام بتاريخ ٢٨ آذار / مارس، ونسقت مع المجموعات الأخرى بشأنها، غير أنه جرى قمعها، واعتقال منسقيها أحمد عرار. كما برز الائتلاف الشبابي لإنهاء الانقسام (سُمي فيما بعد ائتلاف ١٥ آذار)، إلى جانب مجموعات وأطر كانت قائمة، لكنها توحدت في إطار "الحملة الوطنية الشبابية". وتضم سكرتارية هذا الائتلاف الأطر الطالبية، والاتحادات الشبابية، وشبكة المنظمات الأهلية، واتحاد برلمان شباب فلسطين، ومنظمة أنصار الأسرى.

وفي ضوء الدروس المستخلصة من تجربة الحراك في ١٥ آذار / مارس، تميز الإعداد لفاعليات ٣٠ آذار / مارس،

مشجعاً ساهم في نجاحه. وتعرض الحراك لتراجع في أوقات أخرى ارتباطاً بالقمع والتصعيد الإسرائيلي ضد قطاع غزة، الأمر الذي أدى إلى حرف الجهود نحو قضايا أخرى، ولا سيما بعد اغتيال المتضامن أريغوني، وتوقيع اتفاق المصالحة. وساهم رفض معظم المجموعات الشبابية تنظيم فاعليات جماهيرية عقب ذلك، في تراجع المشاركة الجماهيرية، فضلاً عن غياب الرؤية الواضحة للحراك الشبابي في ضوء المستجدات وتباين المواقف حيالها، وعدم تحقيقه جميع الأهداف التي أعلنها، وهشاشة اتفاق المصالحة، وبروز مستجدات على الصعيد الداخلي والشبابي كقرار تشكيل المجلس الأعلى للشباب والرياضة، والتحديات التي يواجهها على صعيد تراجع الدعم الشعبي ودعم القوى والمؤسسات، عدا حالة الاستقطاب والارتداد إلى الفئوية، وتصنيف المجموعات ومحاولات احتوائها، بل نجاح بعض هذه المحاولات في احتواء العديد من المجموعات.

كما ظل الحراك الشبابي يواجه عملية ملاحقة منظمة بهدف وقفه، وذلك لأنه يتعارض مع مصالح طرفي الانقسام في زج الشباب بفاعليات جماهيرية تنظم خارج أطرهما وأهدافهما، علاوة على معاناة الحراك ضعف المصادر المالية والإمكانات والإرهاق الذي يفوق قدرات الشباب على تحمله، فضلاً عن التحديات الناجمة عن دور أصحاب المصلحة في بقاء الانقسام. وارتباطاً بحجم التحديات التي يواجهها الحراك، وبالأهداف التي انطلق من أجلها واستطاع حشد الجماهير حولها، فإن استمراره لا يزال مرهوناً بقدرته على تحقيق هذه الأهداف، وفق رؤية وخطاب واضحين، والعمل على تنظيم الحراك في مواجهة التحديات التي تعترض

الشبابي بعضها في محافظات الجنوب والوسط وغزة. وشكل توقيع هذا الاتفاق نقطة تحول نوعي في دور الحراك الشبابي، فتحول من مطالب بإنهاء الانقسام إلى حام لاتفاق المصالحة، وضامن أساسي لتنفيذه على أرض الواقع من دون مماطلة.

غير أن هذا التطور كان يعني بروز تحديات جديدة أمام الحراك وشعاره المركزي، منها ظهور دعوات إلى إنهاء فاعليات الحراك على خلفية توقيع اتفاق المصالحة على الرغم من عدم تنفيذه، وبدء تشكل مظاهر خلاف مع القوى السياسية، ارتباطاً بنشوء وضع سياسي جديد، وبروز مصالح جديدة، وتأثير ذلك في قادة التحركات الشبابية من ذوي الانتماءات التنظيمية، والذين كانت المجموعات الشبابية تعتمد عليهم في أنشطتها، وهو عامل أدى إلى تراجع ثقة الجمهور بقيادة الحراك الذين اعتبروا أن دورهم انتهى بتوقيع اتفاق المصالحة.

وترافق ذلك مع بروز خلافات وصراعات بين المجموعات الشبابية نفسها، على خلفية التسرع في قطف ثمار الحراك من طرف بعض المجموعات، وناشطين من خارج الحراك، فظهرت "حكومة الظل" كمبادرة انضم إليها "الائتلاف الشبابي لإنهاء الانقسام"، ثم "حكومة الضمان الوطني"، بينما رفض الحراك الشعبي الانضمام إلى أي منهما، وفضل التصدي لمحاولات الاحتواء.

متطلبات إعادة بناء الحراك

ارتبط عمل الحراك منذ انطلاقه بفترات من المد والجزر نظراً إلى الوضع الموضوعي والذاتي، فشكل نجاح الثورات العربية وشعار إنهاء الانقسام عاملاً

المجلس الأعلى للشباب والرياضة؛ إعادة تفعيل المجلس التشريعي بما يضمن توفر رقابة فاعلة على عمل السلطة التنفيذية بعيداً عن المصالح الفئوية واقتصرها على المصالح الوطنية العليا؛ إعادة الاعتبار إلى سيادة القانون وتعزيز السلطة القضائية من خلال إعادة توجيه القوانين القضائية، وفق معايير القانون الفلسطيني؛ ضمان إعادة هيكلة المؤسسات وتوحيدها كي تعمل على أساس مهني و وطني؛ الإفراج الفوري عن المعتقلين السياسيين كلهم؛ إعادة فتح جميع الجمعيات والمؤسسات الأهلية التي تم إغلاقها في أثناء فترة الانقسام، وضمان عودة الموظفين المفصولين والمقطوعة رواتبهم؛ فتح الفرص أمام الجميع للوظيفة العمومية على أساس الكفاءة والمهنية؛ العمل على التخلص من آثار الانقسام، ووضع أسس لتحقيق المصالحة الشعبية والاجتماعية وضمان إشراك القطاعات كلها فيها؛ إعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني على أسس ديمقراطية؛ إعادة بناء الأجهزة الأمنية على أسس الكفاءة والمهنية؛ تجريم وتحريم اللجوء إلى العنف في معالجة القضايا الداخلية؛ احترام التعددية وتداول السلطة.

ثالثاً: وضع الشباب، ويشمل نضال المجموعات الشبابية من أجل تفعيل قانون رعاية الشباب وإشراكهم في مراكز صنع القرار، وتحديد موقف موحد من جميع القضايا ذات العلاقة بالشباب، مثل المجلس الأعلى للشباب والرياضة، والاتحادات والبرلمانات الشبابية، بما يضمن وجود تمثيل حقيقي للشباب يسمح لهم بتحمل مسؤولياتهم. ■

تطوير دوره وتأثيره، وعلى حشد جهود المجموعات كلها على قاعدة برنامج واضح. وعلى الرغم من حالة التراجع هذه، فإنه لا بد من البناء على المؤشرات الإيجابية إلى التجربة الماضية، وفي مقدمها ظهور دور طليعي للشباب ساهم في التأثير في مواقع صنع القرار، بما في ذلك توقيع اتفاق المصالحة، وإكسابهم خبرات لم تتح لهم جرّاء تهميشهم المستمر بحجة افتقارهم إلى الخبرة. وقد عُقدت عدة اجتماعات بهدف توحيد مجموعات الحراك الشبابي في جسم واحد، على الرغم من استمرار معارضة بعض المجموعات للوحدة، بل حتى التنسيق على قاعدة برنامج مشترك ارتباطاً بالعامل الفئوي.

وكي تنجح المجموعات الشبابية في ذلك، فإنه لا بد من متابعة الحوار للتوافق على رؤية وبرنامج عمل للحراك الشبابي والشعبي يستند إلى ثلاثة منطلقات يمكن تلخيصها على النحو التالي:

أولاً: الجانب الوطني، ويشمل النضال من أجل استعادة جميع الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، والاتفاق على استراتيجية موحدة تحقق المصالح الوطنية العليا، وتحديد آليات عمل وأساليبه وفق برنامج محدد.

ثانياً: الوضع الداخلي، ويشمل بعض المحددات، وفي مقدمها: ضمان احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وخصوصاً حرية الرأي والتعبير والحق في التجمع السلمي؛ إعادة النظر في جميع المراسيم والقوانين والقرارات التي صدرت في أثناء فترة الانقسام، بما يضمن توحيد القوانين المعمول بها في الأراضي الفلسطينية؛ إعادة النظر في قرار تشكيل